

تفسير البحر المحيط

@ 377 @ عليه السلام ، إثر فراغ لفظ المدعي ، ولا فتيا بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب ،
ف قيل ذلك على تقدير ، أي لئن كان ما تقول ، { لَقَدْ طَلَمَكَ } . وقيل : ثم محذوف ،
أي فأقر المدعي عليه فقال : { لَقَدْ طَلَمَكَ } ، ولكنه لم يحك في القرآن اعتراف
المدعي عليه ، لأنه معلوم من الشرائع كلها ، إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعي
عليه . فأما ما قاله الحليمي من أنه رأى في المدعي مخايل الضعف والهزيمة ، فحمل أمره
على أنه مظلوم ، كما تقول ، فدعاه ذلك إلى أن لا يسأل المدعي عليه ، فاستعجل بقوله : {
لَقَدْ طَلَمَكَ } ، فقوله ضعيف لا يعول عليه . وروي أن داود ، عليه السلام ، لما سمع
كلام الشاكي قال للآخر : ما تقول ؟ فأقر فقال له : لئن لم ترجع إلى الحق لأكسرن الذي فيه
عيناك ، وقال للثاني : { لَقَدْ طَلَمَكَ } ؛ فتبسما عند ذلك وذهبا ، ولم يرهما حينه
، ورأى أنهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه . وأضاف المصدر إلى المفعول ، وضمن السؤال
معنى الإضافة ، أي بإضافة نعتك على سبيل السؤال والطلب ، ولذلك عداه بالي . .
{ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ } : هذا من
كلام داود ، ويدل على أن زمانه كان فيه الظلم والاعتداء كثيرا . والخلطاء : الشركاء
الذين خلطوا أموالهم ، الواحد خليط . قصد داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة ، والترغيب
في إثارة عادة الخلطاء الصالحاء الذين حكم لهم بالقلة ، وأن يكره إليهم الظلم ، وأن
يسلي المظلوم عن ما جرى عليه من خليطه ، وأن له في أكثر الخلطاء أسوة . وقرء : ليبغي
، بفتح الياء على تقدير حذف النون الخفيفة ، وأصله : ليبغين ، كما قال : .
اضرب عنك الهموم طارقها يريد : اضربن ، ويكون على تقدير قسم محذوف ذلك القسم ، وجوابه
خير لأن . وعلى قراءة الجمهور ، يكون ليبغي خبرا لأن . وقرء : ليغ ، بحذف الياء كقوله
: .

محمد تفد نفسك كل نفس .

أي : تفدي على أحد القولين . و { قَلِيلٌ } : خبره مقدّم ، وما زائدة تفيد معنى
التعظيم والتعجب ، وهم مبتدأ . { وَطَانٌ * دَاوُدٌ } : لما كان الظن الغالب يقارب
العلم ، استعير له ، ومعناه : وعلم داود وأيقن أنا ابتليناه بمحاكمة الخصمين . وأنكر
ابن عطية مجيء الظن بمعنى اليقين . وقال : لسنا نجده في كلام العرب ، وإنما هو توقيف
بين معتقدين غلب أحدهما على الآخر ، وتوقعه العرب على العلم الذي ليس على الحواس ودلالة
اليقين التام ، ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون : ظن بمعنى أيقن ، وطول ابن عطية في

ذلك بما يوقف عليه في كتابه . وقرأ الجمهور : { فَتَذَنَّهُ } ؛ وعمر بن الخطاب ، وأبو رجاء ، والحسن : بخلاف عنه ، شد التاء والنون مبالغة ؛ والضحاك : أفتناه ، كقوله : .
لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت .

وقتادة ، وأبو عمرو في رواية ؛ يخفف التاء والنون ، والألف ضمير الخصمين . {
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } ، راكعاً : حال ، والخرور :
الهبوط إلى الأرض . فإما أنه عبر بالركوع عن السجود ، وإما أنه ذكر أول أحوال الخور ،
أي راكعاً ليسجد . وقال الحسن : لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع . وقال الحسن بن الفضل :
آخر من ركوعه ، أي سجد بعد أن كان راكعاً وقال قوم : يقال خر لمن ركع ، وإن لم ينته
إلى الأرض . والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من
الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم طائفاً
أنهم يغتالونه ، إذا كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه . فلما اتضح له أنهم جاءوا في
حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم ، كما قص الله تعالى ، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم
عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ من الله أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان طنه ،
فاستغفر من ذلك الظن ، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه ، وخر ساجداً ، أو رجع إلى الله
تعالى فغفر له ذلك الظن ؛ ولذلك أشار بقوله : { فَغَفَرَ لَهُ ذَلِكَ } ،